أُصول التربية

في إبعاد الإنسان عن الأُصوليّة

أُصوليّة الكلمة والناموس

أُصوليّة المادّة

إذا كنّا فعلاً اليوم في زمن التحوّلات في العلم والعلوم والتقنيّات والإقتصاديّات والعلاقة بالحيّز والقيم، فأيّة مراجعات للإنتقال

من

صورة الإنسان المرتبط بالكلمة المتجذّرة في أُصول الإنتماء المعتقديّ والمرتبطة بصورة الإنسان المصنّع (homo- Faber) عبر استثمار موارد الطبيعة والحياة، والمنغمس في فردانيّته وعقلانيّته المتمثلين في إعلائه لشأن الحياة المادّية على نوعيّتها ببعديها المسلكيّ والروحيّ،

إلى:

صورة الإنسان الجادّ في البحث عن ذاته الإنسانيّة الجامعة والضامنة لقيمة الحياة فيه، من خلال تعزيز توقه إلى الإصغاء لحركة انتاج المهارات والمعارف التي تضاعف من قدراته في تثمير ثروات الأرض المادّية والروحيّة وتأمين ديمومتها؟

ع.ق.

مقدّمة

إذا كان ثمّة قلق ينتاب سَواد الناس في المجتمعات المعاصرة، فهو بالتأكيد هذا الشعور بالارتياب لجهة أشكال الضبط والتنظيم المؤسّساتيّ الواجب العمل بها على الصعيد السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، ناهيك عن الصعيد التربويّ الخاصّ على مستوى كلّ من العائلة والمدرسة، بهدف لجم الأزمات التي تعصفُ في الحيزّين المعرفيّ والقيميّ داخل هذه المجتمعات. يتأتّى هذا الشعور من كوننا نردُّ هذه الأزمات أكثر فأكثر إلى تلك التحوّلات التي ما فَتِئَت تبلبل مسار العلوم والتكنولوجيا واقتصاد السوق بين الحيّز المعاش وسُلّم القيم.

أ - التحوّلات الاجتماعيّة والإنسانيّة الشاملة في عالم اليوم وانعكاساتها

١- التحوّلات في ميدان العلوم

منذ بداية القرن العشرين، ونحن نشهد، في مجالات العلوم، إنقلابًا اتّسم بالحدّة في أواخره، وفي مطلع القرن الحاليّ. تناول هذا الانقلاب الفيزياء وعلم الأحياء وعلم الجينات وعلم الفلك. فالفيزياء مثلاً بعد «أنشتين» لم يعد تحديدها محصورًا في «قلب المادّة»، بل خرج إلى تخومها وفي مدى نسبيّة مطلقة. وعلم الأحياء (البيولوجيا) نراه يخترق عوالم جديدة داخل وجوديّة الحياة، وفي أشكال تعبير تمضي بهذا العلم إلى آفاق لامحدودة. أمّا علم الجينات (أو الجينيتيك) فما زال يدهشنا بما يُفضي إلينا به من معلومات حول ألغاز شِفرة الرموز المكوّنة للحياة البشريّة، والتي من شأنها أن تساعدنا ربّما على إبراز تاريخيّة نسلنا المطويّ حتى اليوم في ذاكرة الزمن.

إنّ علوم الكون (الكوسموس) والاكتشافات الرافدة أو التابعة لها تجعلنا أكثر فأكثر على بيّنة من لانهائيّة الزمن والفضاء، ومن هذه النظاميّة الفائقة في عالم الخليقة.

٢- التحوّلات في عالم التكنولوجيا

إنّ تطوّر التكنولوجيا، خلال الثلاثين سنة الماضية، لا يمكن فهمه من خلال مجرّد قراءة ما أحرزت التقنيّات، كمعارف تطبيقيّة، من تقدّم في حقول الانتاج والفن والتوزيع والمعلوماتيّة والتربية، الخ... ففي نهاية القرن العشرين وبداية هذا القرن، تبدو التكنولوجيا ظاهرة جديدة لا عهد للبشريّة بها، حيث نحن في الواقع نشهد ضمن هذا الثنائيّ (المنطق والتقنيّة) أو «المنطق – تقنيّة» (Teknikos- Logos) انقلابًا تثيره فورة الكلمة (اللوغس أو المنطق(والسرعة في قدرتها التطبيقيّة، لم يشهد له مثيل من قبل. وما زال هذا الانقلاب التكنولوجيّ يحدثُ تغييرات عميقة في عالم التقنيّات وآليّة عمل المجتمعات.

نحن في الواقع مبحرون في يمٍّ أحد أهمّ ديناميّات التغيير التي عرفتها البشريّة على الاطلاق. وجاءت هذه الديناميّة لتؤثّر بعمق على أنماط المعرفة والإنتاج وحركة مرور السلع والأشخاص، كما وعلى حركة التوزيع والنقل والتواصل.

ويُستدلّ على هذه الذيناميّة في خضمّ ما يُسمّى بثورة الذاكرة الهائلة الحاصلة حاليًّا. هذه الثورة هي الثانية من نوعها بحسب تعبير المفكّر المعروف ميشال سير Michel Serre . وهي تطلُّ علينا بعد مضيّ أكثر من ثلاثة آلاف سنة على ظهور الأبجديّة، والتي يمكن اعتبارها ثورة الذاكرة الأولى، والتي حصلت في بيبلوس جبيل، المدينة الفينيقيّة القائمة على الشاطئ اللبنانيّ المنفتح على العالم منذ بدايات التاريخ.

بفضل هذه الثورة (الثانية)، فإنّ الذاكرة المعلوماتيّة، Mémoire Informatique، المكوّنة في خارج الانسان، ما برحت تطوّر قدراتها على التقاط المعلومة، ومن ثمّ تحليلها ومعالجتها وتشبيكها، ثمّ تكييفها في شكل متعدّد الأنماط. وبهذه الطريقة تعبرُ الذاكرة المعلوماتيّة الفضاءات التقنيّة، وتمدُّها بإمكانيّات التغيير والتحويل المفتوحة على اللامتناهي.

٣- التحوّلات في اقتصاد السوق

على مستوى مسار تطوّر الاقتصاد، يشهد كوكبنا في الزمن الحاضر دفعًا وتقدّمًا للسوق هائلين تحت تأثير حديَّة سرعة انتقال السلع والأموال بوتيرةٍ لا مثيل لها، كما وبفعل تصاعد الاحتكار: احتكار القدرات والثروات، فيهيمن السوق من جرّاء ذلك ويتكرَّس كطقسٍ من طقوس العبادة، وينتهك كلّ الحدود والحواجز التي تقف في دربه تحت ستار عولمة مزعومة للاقتصاد، تُجمِّع التبادلات بشكلٍ مفرط، وبدون وازع أو حدود، محتميةً تحت رموزٍ ساحرة جذّابة، من مثل: «العالم قرية صغيرة»، أو «الوعد بقيام مجتمع عالميّ» ينتظم تحت مبادىء جامعة ترعى توطيد الصلات الاجتماعيّة على الصعيدين الداخليّ والخارجيّ.

عبادة السوق هذه كرَّست احتكار الثروات من جهة، وإقصاء شرائح واسعة من السكّان من جهة أخرى، وذلك بتهميش جماعات الذين لا يقدرون على مواكبة السرعة التي تولِّدها حركيّة هذا السوق.

٤- التحوّلات في العلاقة بالحيِّز

إنّ حدِّية احتكار الاقتصاد، بفعل سرعة النقل والانتقال داخل السوق المكرّسة عالميًّا كطقسٍ من طقوس العبادة يقصي ويهمِّش – كما أسلفنا القول –، تثير اليوم، وإن بدرجات متفاوتة، تحوّلات عميقة على مستويي العلاقات الاجتماعيّة والعلاقة بالحيِّز.

وبالفعل، فالأرض، وفي أيّ حيّز من حيّزاتها المكانيّة، معرّضة في الزمن الحاضر لإعادة ترتيب بحسب أنماط غير معروفة في السابق. هذه الأنماط والأشكال الجديدة ليست، برأي رسّام الطبيعة الفرنسيّ برنارد لاسوس (Bernard Lassus)، أنماطًا لا مدينيّة ولا ريفيّة؛ إنّها أراضٍ جديدة، وهي علاقات اجتماعيّة جديدة، علينا معرفة استكشافها وفكّ رموزها.

فنحن في هذا الصدد نلاحظ أكثر فأكثر وجود مساحات عمرانيّة كثيرة التطلّب على مستوى استعمال الثروات وشديدة التلوّث، كما تتعرّض لفيض من المعلومات التي تعقّد التواصل. وهي، إلى ذلك، تُفسد العلاقات الاجتماعيّة (خصوصًا علاقة المواطنة) بسبب كثرة الاتجاهات المضلِّلة التي تفرضها.

هذه العلاقات أنّى كانت، تبدو متوتّرة ومتشنّجة، حتّى أنّ المخاوف الجَماعيّة تتفوّق حاليًّا على دواعي الأمل والرجاء.

ينتج عن ذلك عودة بروز ظاهرة القوميّة القائمة على أسس عرقيّة أو إيدولوجيّة دينيّة، حيث الكائن، المعرَّف عنه بأصوله المزعومة، يهيمن على الكائن السياسيّ أو الاجتماعيّ الاقتصاديّ.[١]

1- EL KAHI, Abdo, *La cité égarée, vision vincentienne pour un siècle nouveau,* document élaboré et édité par les filles de la Charité province d'orient, à l'occasion du colloque international: "Charité et droits de l'homme" tenu à Beyrouth, Septembre 1998, page. 33.

٥- التحوّلات في القيم

أمّا على الصعيد الخاصّ بالقيم، فنحن نلاحظ أنّ الأفراد والمجموعات داخل المجتمعات تمضي إلى مزيد من المجابهة والصراع بفعل تأثير مجموعتين من القيم الفاعلة في أساس المواقف والسلوكيّات والتوجّهات الثقافيّة:

– قيم التماسك والتلاحم الاجتماعيّ والاخلاقيّ من جهة، أي الخضوع للسلطة والطاعة والإذعان لقواعد السلوك المعمول بها.

– القيم المدنيّة من جهة أخرى، كالاستقلاليّة والمسؤوليّة والمساواة والمشاركة والانتظام مؤسّسيًا والغيريّة.

أكثر من ذلك، نلاحظ أنّ العناصر الفاعلة، وتلك المدافعة عن القيم المدنيّة، تجد نفسها محمولة إلى مزيد من عدم الاكتراث وعدم الاهتمام بالشأن العامّ (Res-Publica)، ما يؤدّي إلى تعاظم الشعور بالإحباط لديها، وإلى القصور عن القيام بالدور الفعّال المنوط بها، من حيث متابعة وتفعيل وإصلاح الحياة السياسيّة، الأمر الذي يمهّد الطريق بالضرورة إلى تنامي قيم الفئة الأولى في حياة المدينة.

وممّا يزيدُ في تسريع هذا التفشّي، سعي الناس الدؤوب لتأمين شتّى أنواع الضمان والحماية الاجتماعيّة والبشريّة، وهي أمور يبدو أنّ الأنظمة القائمة عاجزة عن تأمينها وتوفيرها.

في هذا الصدد، نذكر ملاحظة وردت في مقالة نُشرت في مجلّة «علوم إنسانيّة»، «Sciences Humaines» بموضوع: تطوّر القيم في أوروبا[2]، وتتعلّق بمدى التغيير الكبير الحاصل في أوروبا في ما يعود لعيش القيم.

يقول الكاتب: «ثمّة وجه آخر لظاهرة تبدّل القيم قائم في توسّع دائرة النزعة الفرديّة، (Individualisme)، وذلك كمخرج لمجتمع اقتصرت فيه مهمّة الانسان على تجسيد دوره الاجتماعي». ومع ذلك يمكن للفرديّة أن تكون إمّا تخصيصيّة (particulariste) وإمّا شموليّة (universaliste). ونحن ندرك، إنطلاقًا من هذا التكوّن القيميّ، أنّ الفرديّة أكثر انتشارًا في وسط الأفراد الأفضل حظًّا دراسيًّا وتربويًّا. إنّها صرخةٌ تنادينا للعمل على إعادة النظر في مسارنا التعليميّ والتربويّ معًا».

2- CHAVEL, Louis, l'évolution des valeurs en Europe, revue *Sciences Humaines*, numéro 41, Octobre 1996 P. 35

ب - التحوّلات الواجب إجراؤها على صعيد طبيعة العمل التربويّ

في مسيرتها عبر الزمان والمكان، ظلّت التربية، بما فيها التربية اللانظاميّة، فعل تنشئة يهدف إلى تركيز الانخراط والتكييف الاجتماعيين. فكلّ تنشئة داخل العائلة تنسكبُ، بهذا المعنى، في إطار تعليميّ (Cadre apprenant)، وكلّ تعليم (تعلُّم Apprentissage)، يشارك هو أيضًا في التربية كعملية تقنيّةٍ وتوجيه لإنبناء الحياة الفرديّة والجماعيّة.

ولكن، إذا كانت التنشئة تعليمًا وتربية، وإذا كانت التربية عمليّة صقل اجتماعيّ، فهل ظلّت هذه الأخيرة تشبه ذاتها عبر العصور والأمكنة؟ وإلاّ، فما تكون طبيعة التغيير الواجب إجراؤه في طبيعة التنشئة بالذات حتّى تأتي هذه التنشئة، كإطار للتعليم والتربية، قادرة على مواكبة الفرد داخل العائلة وخلال حياته كلّها، وحتّى لا تظلّ تحصل بشكل شعارات نتمثّلها ونسوّقها بحسب ألوان الأزمنة؛ بل تصبح عهد وفاء للإنسانويّة ولنوعيّة الحياة، وبالتالي للتطوّر الإنسانيّ المستدام الذي سبق وأعلنّا مضامينه أعلاه؟

ولقد تمكّنتُ في هذا الصدد، من ضمن تحليل تأريخيّ، من استشراف حيّزين للديناميّات التربويّة. ولكنْ بغية تلمُّسُ دروب المستقبل المنشود عبر تنشئةٍ مُزكّاةٍ لهذه الغاية، فإنّي أستشعر طلائع حيّزٍ ثالث يفترض عملية تبدُّليّة إنسانيّة: فرقةٌ هي ثمّ تخطٌّ وتجاوز، من أجل ترسيم آفاق التغيير المنشود.

١- الحيّزان التقليديّ والتجديديّ في ديناميّات التربية

أوّلاً: الحيِّز التقليديّ

يبسط الحيِّز التقليديّ مداه في إطارٍ من التنشئة الموجّهة، التي ترمي إلى الأهداف التالية:

- اكتساب المعارف والقواعد السلوكيّة المعمول بها.
- انخراط الأفراد في المجتمع بشكلٍ يضمن ديمومة ما هو قائم في مواجهة التغيير الذي يطرأ في المحيط الاجتماعيّ.

في هذا الحيّز، تُعطى الأهميّة القيميّة الأولى لنوعيّة المنتوج، فتصبح نوعيّة الحياة كقيمة ناتجةً عن قيمة المنتوج، ونوعيّة الإنسان نابعةً من القيمتين السابقتين.

ثانيًا: الحيّز التجديديّ

إنّ التجديد المطلوب في هذا الحيّز يكمن في الدّعوة إلى فعل تنشئة إصغائيّة، حيث يطلب من المربّين، معلّمين وآباء وأمّهات، أن يكونوا مُنصتين إلى المتربّين بُغية مساعدتهم، أفرادًا وجماعات، على أن يتنشّئوا بأنفسهم، وعلى أن يحقّق أحدهم الآخر عبر المساءلة الدائمة.

في هذا الحيّز، تكون نوعيّة الحياة شرطًا مؤسّسًا لنوعيّة الإنسان، أي لقيمته الانسانيّة؛ وهذه الأخيرة تؤسّس هي بدورها لنوعيّة المنتوج.

٢- الديناميّة التربويّة المقترحة

من شأن هذه الديناميّة دعوة الآباء والأمّهات من جهة، والمربّين والتلامذة من جهة أخرى، إلى أن يتنشّؤوا معًا في إطار هذا العالم المتغيّر، على أن يمشي الأهل وراء الأولاد وأن يساندوهم في مشوارهم نحو المستقبل.

في هذا الحيّز، نوعيّة الإنسان، أي قيمة الإنسان، تكون شرطًا مؤسّسًا لنوعيّة حياته، التي بدورها تغدو شرطًا منتجًا لنوعيّة السلعة.

يبقى مع ذلك أنّ هذه الديناميّة تطرح مسألتين:

المسألة الأولى

هل بمقدورنا أن نغامر في التربية على دروب تغيير مؤسّساتيّ جذريّ (براديجماتيّ حسَب تعبير T.S.Khun) ينقلنا:

* **من المنظور** الإنسانيّ المستند أساسًا إلى صورة الإنسان المصنّع (homo - faber)، والمعَدّ لإحداث تغيير في موارد الحياة وطاقاتها وفي المحيط الطبيعيّ للإنسان؛

* **ومن المنظور** المستند إلى صورة الإنسان – الفرد الممثل لعقلانيّته، والذي لا يألو جهدًا في تفعيل مردوديّة ونوعيّة ما ينتجه من سِلع، في الوقت الذي يُسقِط نوعيّة حياته إلى مرتبةٍ ثانية، ويُرجئ إلى المرتبة الثالثة اهتمامه بقيمته الإنسانيّة كإنسانٍ حرٍّ جدير بالارتقاء إلى المعرفةِ، فالحبّ، فتذوّق الجمال والسعادة من خلال معاناة تجربته للآخريّة (alterité) كما للألم والقلق، الناتجة عن هذه التجربة.

إلى منظور:

* الإنسان الجادّ في البحث عن ذاته كشخص متواصل مع قِيمه الإنسانيّة الجامعة والضامنة لِقيمةِ الحياة فيه؛

* الإنسان الملتزم بعمليّة استنباط الأدوات القادرة على تثمير موارد الطبيعة بغية تأمين ما يحتاج إليه كي يعيش وينمو؛

* الإنسان التوّاق إلى الاستماع والإصغاء إلى حركة إنتاج المعارف والمهارات التي توسّع إدراكه لقيمته وكرامته، وتعزّز طاقته في تثمير ثروات الأرض وتأمين إمكانيّة ديمومتها؛

* الإنسان المشدود نحو اكتشاف إنسانيّته وتنميتها من خلال الجهود المطلوبة منه للانتصار على أنانيّته والتوجّه صوبَ الآخر والالتزام برباط المواطنيّة مع الآخرين والمشاركة في الورشة المستمرّة لبنيان المجتمع.

وبتعبير آخر، هل سيكون في مقدورنا في المستقبل أن نصحّح بواسطة التربية، وداخل العائلة خصوصًا، مفاعيل عمليّة التنشئة المنتظمة وفقًا لضرورات التكيّف مع الخطاب السائد عن الحقيقة والمتناغم مع إرادة السلطة التي تسوّق مثل هذا الخطاب من ضمن

ديناميّة استيعابيّة سباق التطوّربلوغًا إلى رفاهيّة العيش؟

وفي سبيل ذلك، هل يُقيّضُ لنا أن نعيد النظر والتفكير في عائلاتنا لجهة تكييفها وقولبتها اجتماعيًّا في إطار مواطنيّة همُّها حمايةُ الحياة في مختلف تجلّياتها، والعملُ على تثمير الموارد الموجودة والدفع باتجاه نوعيّة حياة أفضل عن طريق باب الاستدامة، استدامة الحياة والمساواة وصولاً لشموليّة الإنسانيّة؟

المسألة الثانية

هل لنا أن نأمل في قيام نظم وضوابط اجتماعيّة ثقافيّة وتربويّة جديدة، من شأنها مواكبة مسيرة كلّ انسان، بغية تمكينه من التحرُّر إنسانيًّا، وذلك بالعمل على إغناء ذاته بصورة دائمة على طريق البحث عن الحقيقة والاعتراف بمكنوناتها كقيمةٍ ثابتةٍ لا يعتريها التغيير والتبديل، وفي حالة خلق وإبداع مستمرّين؟

في سبيل تحقيق ذلك، أفلا يجدر الاعتقاد مع العالم البيولوجيّ والفيلسوف: ألان بروشيانتز (Alain Prochiantz)، «بأنّ في طبيعة الإنسان أن يكون فعلاً وبشكل نهائيّ مطبوعًا على مغايرة الطبيعة (a-nature)»؟[٣]

تبديلٌ، افتراقٌ، تغييرٌ، فتخطٍّ... إنّها المرتكزات لمشروع تربويّ جديد تنبغي الدعوة له والعمل على تطبيقه داخل العائلة؛ مشروعٍ يكون مواكبًا لكلّ مسارٍ من مسارات الحياة، ويساعد الرجال والنساء كي يتغيّروا وينتظموا وفق ضرورات التخطّي الذاتيّ، حتّى يصبح التساوي في الاعتراف بين الوالدين والأولاد كما وبين المعلّم والمتعلّم، وبين الغنّي والفقير والموهوب والمعدَم، هو المعيار الأساسيّ لقيمة الانسان مهما تكن قيمةُ المعرفةِ المكتسبة أو قيمةُ السلعة أو المرتبة الاجتماعيّة المترتّبة على ذلك.

ج – التغييرات الواجب إجراؤها في الرهانات التربويّة

إنّ القضايا المعروضة أعلاه تقضي بإحداث تغييرات جذريّة على مستوى الرهانات التربويّة، أي التوجّهات الاستراتيجيّة في التربية، وبشكلٍ خاصّ ضمن العائلة، لتعزيز الارتقاء إلى إنسانيّتنا في المجتمعات الحديثة. هذه التغييراتُ أو التحوُّلات تلامسُ المراقي الأربعة التالية:

– مسار الهويّة وبناء والمعرفة.

– مسار القِيَم والارتقاء إلى المواطنيّة الفاعلة.

– مسار الفكر والارتقاء إلى الشموليّة.

– مسار تربية المربّي على الإصغاء والخدمة.

١-التغييرات المطلوبة على مستوى مسار الهويّة وبناء المعرفة

يفترض بهذه التغييرات أن تنقلنا:

* من تربية ترمي إلى تأكيد الهويّة وتكوين المعرفة انطلاقًا من الروابط الأوّليّة للقرابة الطبيعيّة والثقافيّة التي تسعى إلى توسيعها تدريجيًّا، من مستوى العائلة إلى المستوى المحلّيّ، ومن المستوى المحلّي إلى مستوى المنطقة فالمستوى الوطنيّ، ومن المستوى الوطنيّ إلى المستوى الكونيّ؛

* إلى تربية مرتكزة على الاعتراف بالمساحات الجينيّة (étendues génétiques)، والاجتماع – ثقافيّة (socio -culturelles)، والقيميّة (valorielles) المكوّنة لكلّ هويّة من جهة، وعلى العمل البحثيّ المتواصل من أجل فكّ رموز المعارف في مكنوناتها الذهنيّة والثقافيّة واللغويّة كما تنقلها التكنولوجيا المعاصرة على نطاقٍ عالميّ من جهة ثانية.

وعلى هذا النحو يدعو بيار روزانفالون (Pierre Rosanvallon)[٤] إلى البحث بطريقة مختلفة في مسألة الهويّات الاجتماعيّة (identités sociales). فالهويّات الاجتماعيّة لم يَعد بالإمكان التصدّي لمعالجتها انطلاقًا من المفاصل التي تربط بين الأنا والنحن، مستندين في ذلك إلى كون الأفراد يؤلّفون مجتمعات مبنيّة على التشابه والتماثل (ressemblance et similarité).

ينبغي هنا فهم الهويّات الجماعيّة على أنّها مسارات متقاطعة أو طرقات متوازية أكثر ممّا هي صفاتٌ أو ميزات مشتركة.

3- Prochiantz. Alain, Machine Esprit. É. Odile Jacob, 2000, Paris

٢- التغييرات المطلوبة على مستوى مسار القِيم من أجل الارتقاء إلى مصافّ الأخوّة والمواطنيّة والديموقراطيّة الفاعلة

يطلب من هذه التغييرات أن تنقلنا هي الأخرى:

* من تربية مسعاها تفعيل قِيم المنافسة ومكافحة الشحّ والعوز وتطوّر آليّات استغلال الموارد وصياغة الحقوق التي من شأنها حماية هذه المنافسة والاستغلال،

* إلى تربية تستند على قيم الآخريّة «L'altérité» التي تركّز على المسؤوليّة والحوار المنفتح بين الثقافات بهدف تسهيل انبثاق ديناميكيّة الأخوّة والمواطنيّة والديموقراطيّة الفاعلة وتنمية هذه الديناميكيّة في العلاقات بين الأفراد، المختلفين سياسيًا، بحيث يصبحون قادرين على الوصول سويّة إلى حقوقهم، والمساهمة معًا في إدارة ومعالجة مشاكلهم المجتمعيّة المعولمة، من مشاكل اقتصاديّة وثقافيّة واجتماعيّة معولمة، كما تبرز في محيطهم الخاصّ.

* إنّ مثل هذا الأمر قد يقتضي، برأي المفكّر الفرنسيّ جويل رومان[٤]، تبديلاً حقيقيًا في ديناميّة الديموقراطيّة، من الواجب الاضطلاع به انطلاقًا من العائلة.

يقول جويل رومان في هذا الشأن ما مُفاده: لقد تعوّد الناس أن يتناولوا بحث الديموقراطيّة على ضوء منطق التحرّر والانعتاق. الرهان اليوم ربّما يكون في خفض وطأة هذا المفهوم لحساب مقولة الاعتراف بالآخر. فقبل السعي إلى تحرير الآخر ودفعه نحو الانعتاق من قيوده وتقاليدها، يجب الإقرار له بحقّه في أن يكون هو ما هو، كما حقّه في أن يكون جزءًا من نفس المجموعة السياسيّة المجتمعيّة التي ينتمي إليها.

4- ROSANVALLON, Pierre, *Le peuple introuvable,* Histoire de la présence démocratique en France, Editions Gallimard. 1998. p. 356

٣- التغييرات المطلوبة على مستوى مسار الفكر من أجل الارتقاء إلى الشموليّة

هذا المسار نريده طريقًا تنقلنا:

* من تربية مرسومة على قاعدة الاحترام المطلق للقوانين والنظم الراهنة على مستوى كلّ من الدين والثقافة، ودافعة إلى الاذعان لهذه القوانين والنظم التي نخشى أن تؤدّي في تحجّرها إلى نوع من التفرقة الشاملة بين الناس،

* إلى تنشئة تتوخّى البحث عن الحقيقة من خلال الإصغاء إلى حركة المعارف وإلى حاجات الناس، والعمل على تحريك القواعد والنظم القائمة بما يتلاءم مع هذه المعارف والحاجات بغية تثبيت حقوق الجميع.

في هذا الإطار تنبغي معاودة اكتشاف الأهداف الانسانيّة الشاملة والمطلقة عبر البحث المستمرّ في رحاب النسبيّة المطلقة والتحاور المستمرّ.

وفي رأي ألان تورين[٦]، عالم الاجتماع الفرنسيّ، لا تكون الديموقراطيّة صلبة العود إلاّ إذا كان محرّكها الدافع هو الرغبة في التحرير المتطلّع باستمرار إلى حدود وآفاق جديدة.

٤- التغييرات المطلوبة على مستوى مسار تربية المربّي لتمتين قدراته على الإصغاء والخدمة

نحن نتطلّع، في خلال هذه التغييرات، إلى المربّي عينه، لننتقل معه عبر إعداد ملائم:

* من مصافّ التربية القائمة على خلفيّة صورة السلطة الفوقيّة المعطاة للأب أو الأمّ أو إلى مربٍّ آخر، والمرتكزة على مفهوم المهمّة المكلّفين بها من أجل ترسيم معالم مستقبل الأولاد أو المتربّين بشكل عام،

* إلى مصافّ تربية تفرض على الأب والأمّ واجب تنشئة الذات أوّلاً على مفهوم الخدمة، كما على المواقف والتقنيّات الملازمة لهذه الخدمة، ولاسيّما تلك التي تسمح لهم بتقديم الخدمة المنتظرة من قِبَل المتربّين بقصدِ الاعتراف بهم تمامًا كما هم، وبالتالي مساعدتهم على درب التحرّر عن طريق تقديم الدعم اللازم لتنمية قدراتهم.

عبده القاعي

عن أيّ تربية نتكلّم

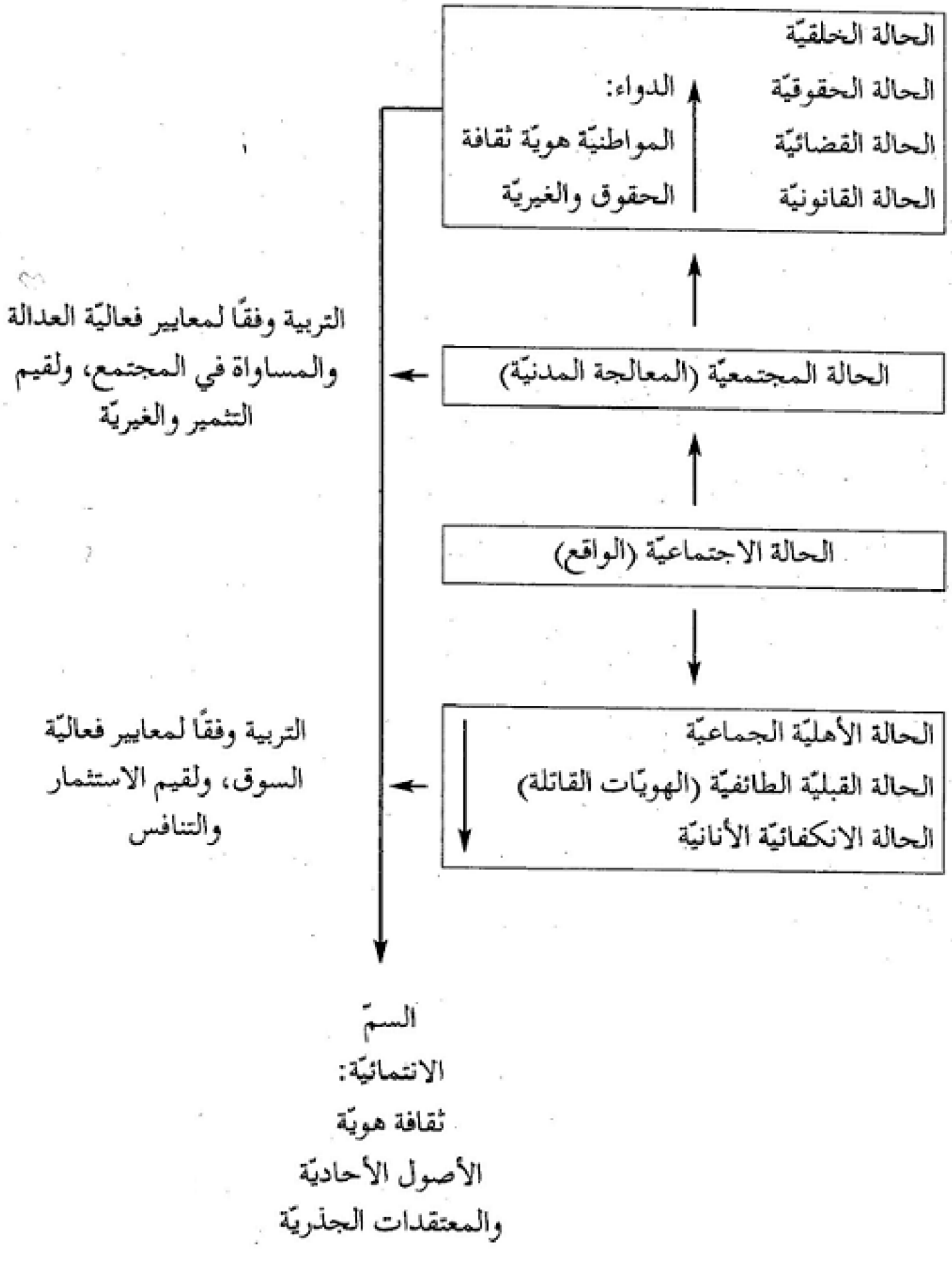

التربية على العبور من مركزيّة الانتماء العرقيّ والثقافيّ والدينيّ (الطائفيّة) إلى الشموليّة الإنسانيّة